مُبْهَمات الغياب في نصوص قيام الساعة
مقاربة تداولية

رزيق بوزغاية
جامعة تبسة، الجزائر

ملخص:

تمثل قضية قراءة النصوص المقدسة ونصوص التراث وفقا لنظريات تحليل الخطاب المعاصرة تحديا معرفيا غير يسير، لكونها تتموضع بين مخافتين: الأولى مخافة إساءة فهم تلك النظريات والمعارف بإخضاعها لمدونات مختلفة نوعا من حيث معطياتها بنيوية وثقافية عن تلك التي كانت موضوعا لها ومنطلقا أول الأمر فتكون قراءة ذاتية غير منتجة لمعرفة ذات بال، والثانية مخافة الإساءة إلى تلك النصوص، خاصة المقدس منها كالقرآن الكريم، من خلال إعمال تصورات البشر لنصوص أنتجها البشر أنفسهم في هذه المدونات دونما تمحيص معرفي. وبين المخافتين تظهر أهمية البحث عن سبيل للتحليل الموضوعي للنصوص، قديمها وحديثها، من خلال مراجعة تأصيلية للنظريات اللسانية الحديثة في ضوء مرجعياتها الأساسية التي صدرت عنها، كنظرية التداولية التي قد تفيد البحث اللغوي في القرآن الكريم من جوانب متعددة لعل أهمها الجمع بين معطيات النص ومعطيات التلقي في فهم الظاهرة اللغوية.

الكلمات المفاتيح: مبهمات الغياب، النص، اللسانيات التداولية.

مدخل: المبهَمات والدرس التداولي

تُعرف التداولية عادة بأنها دراسة اللغة في الاستعمال[1]، ولعلَّ هذه الصيغة الشائعة في تعريفها تجعل التداولية نظرية أقرب منها إلى العلم، فالعلم الذي يختص بدراسة اللغة مطلقا هو اللسانيات، وبحسب الرؤى إلى الظاهرة اللغوية المدروسة أو النظريات تكون صفة هذه اللسانيات. بناء على هذا تكون اللسانيات التداولية نظرة متميزة للغة، ولعل أهم ميزاتها أنها تأخذ بعين الاعتبار أثناء وصفها للغة العناصر المؤثرة في الاستعمال أو التواصل.

وفي رحم هذه الرؤية مراجعة عميقة لأفكار فردينان دي سوسير المتعلقة باللغة من حيث هي موضوع علوم اللسان، وهي مراجعة تحتفظ بكثير من المكتسبات المعرفية التي حققتها فكرة النظام اللغوي عند العالم السويسري، بل إنها ترى في أغلب ما ذهب إليه في تفسير الظاهرة اللغوية عين الصواب، لكن المشكلة الأساسية أن هذا التفسير أهمل البيئة الطبيعية التي تتمظهر فيها اللغة وهي الاستعمال والتواصل على ما فيها من مؤشرات كثيرة تخدم التفسير الأوفى للظاهرة.

ومن هذه المؤشرات التي أثارت اهتمام الدارسين من أمثال إميل بنفنيست قضية الإحالة أو المرجعية في اللغة، وهي قضية ذات علاقة وثيقة بإطار الاستعمال اللغوي بوصفه مدار اهتمام النظرية التداولية، ذلك أن أغلب النصوص والملفوظات المنتجة في وضعيات الاستعمال اللغوي لا تخلو من إحالات إلى مراجع محددة ضمن سياق الموقف أو سياق الثقافة، وتسمى العناصر اللغوية التي تؤدي تلك الوظيفة مبهمات أو محيلات، وتسمى المراجع التي تعود إليها مؤولات لأنها تكسب العناصر اللغوية المبهمة معاني يحسن التواصل بها.

1 . أقسام المُحيلات عامةً:

تقتضي الإحالة التلفظية على المقام قصدَ المتكلّم الإشارة إلى مرجع محدَّد في مقام التلفظ، ومعرفةَ المتلقي بهذا المرجع، ويسمَّى مرجعا لأنَّ معرفته أساس تأويل العناصر المحيلة التي يوظِّفها المتكلِّم في الخطاب أو الملفوظ. وقد تتَّخذ هذه العناصر المحيلات تسمياتٍ مختلفةً كمرجعيات التلفظ في ترجمة نصٍّ لجان سيرفوني هي التالية: «يمكن تعريف مرجعيات الملفوظ [deixis] على أنها علامات تحيل إلى ملفوظيتها. ويقال أحيانا أنها تعكسها (الملفوظية). سنعدِّد أولا ما تنطوي عليه انعكاسيتها. الملفوظية تفترض وجودَ متحدِّث "LOCUTEUR" ومخاطَب "ALLOCUTEUR" وهي تتموضع في الزمن عند لحظة محدَّدة، أما عاملا (ACTANS) الملفوظية (المتحدِّث والمخاطَب) فيقعان في الفضاء "ESPACE" أي في مكان معيَّن لحظة حصول الملفوظيَّة»[2].

[1] ذكر هذا التعريف غير واحد من الدارسين مثل روبير دي بوغراند: النص والخطاب والإجراء. ترجمة تمام حسان. عالم الكتب، القاهرة، مصر، الطبعة الثانية:2007، ص 83. وهو تعريف وفي لما ورد في الدراسات الرائدة في السيمياء عند شارل بيرس وشارل موريس.

[2] جان سيرفوني: الملفوظية. ترجمة قاسم مقداد. منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، سوريا، 1998. ص 27.

فجوهرُ المرجعية دراسةُ العلاقة بين اللغة والوقع بما يحويه من مراجع مؤوِّلة للخطاب: «عرَّف إميل بنفنيست التلفُّظ على أنَّه "تفعيل اللغة من خلال استعمالها بتصرُّف فردي"... منذ ذلك الوقت ظهر العنصرُ المستعمِل للغة ومعه معطياتٌ جديدة لتشغل مكانةً محوريةً في التحليل اللساني. لقد عُدَّت بعضُ الوحدات اللغوية المسمَّاة إشارية "déictiques" غير قابلة للتأويل إلا في إطار علاقتها مع فعل التلفُّظ الذي ينتجها. هكذا بدت الأشكال المقصودة الدالة على الشَّخص والزمان والمكان للوهلة الأولى غير متجانسة. لكنها كلها تسمح بطرح السؤال حول علاقة العلامات بالواقع. هذه الأشكال، كأيِّ وحدة، تتلقي عددا من الميزات اللسانية دون اختزال لوظيفتها الدلالية والمرجعية. هذه المقاومة للوصف الشكليِّ تشهد على ضرورة تزويد التحليل بمعطى تم إبعاده طويلا: العالم الواقعي»[3].

وقد عمل دارسون كُثر على إحصاء القرائن اللغوية التي تجعل من الوحدات اللغوية في الخطاب عناصر محيلةً، وحدَّدوا أقساما من الكلِم تصلح لأداء مثل هذه الوظيفة، وذكروا ميزاتٍ في الوحدات المعجمية المعروفة تجعلها محيلة أحيانا، كما تقدَّم عرض ذلك في دراسة الزمان والمكان ومرجعيتهما في إطار عملية التوصيل، إذ تبيَّن أن صيغة الفعل لها إحالة زمنية لا يمكن فهمها إلا بفهم موقف التلفُّظ وهكذا.

وتبرير فعل الإحالة متعلِّق بمسار التأويل وبناء المدلولية إذْ هما متكاملان، ذلك أن المدلولية تعرف بوصفها ميزةَ الشكل اللغوي الدال، وقد يُقيَّد فعل الدلالة بفعل الإحالة المقامية عندما لا تكفي المضامينُ المعجمية للوحدات اللغوية في تبيان تلك الدلالة، ولذلك تسمَّى في معظمها مبهَمات، ويشرح الدارسون كيف تكون العناصر المحيلة مبهمةً لا يمكن فهمهَا أو تأويلها من داخل النظام اللغوي (من حيث هو مجموعة قواعد كليَّة) وإنما تُفهم بالخروج من اللغة إلى عالم الأشياء التي تكون مقام التواصل، من ذلك قول ذهبية حمو الحاج: «ليس للضَّمائر من مرجع إلا حال الحديث، بالرغم من اعتقاد البعض ومنهم مانغينو بأنها تحيل إلى مواضيع غير لغوية "non verbal" فمرجع كل من "أنا" و"أنت" غير واقعي، وإنما مرجعها حاليٌّ إذ لا يمكن معرفة مرجع "أنا" و"أنت" قبل استعمالهما من قبل الفرد، في هذا الصَّدد يجب الفصلُ بين اللغات في تقسيمها اللساني بحيث أنه «على صعيد اللغة الفرنسية يتَّسم ضميرُ المخاطَب "أنت" بسمة عدم التَّحديد في حال "tu" أما "أنت" كضمير توحيدي في حال "toi" فيكتسبُ قيمة معرفية في حال حضور الشَّخص المخاطَب»»[4].

يمكن على هذا أنْ تُنسب خاصية المرجعيَّة التلفظية إلى فعل التأويل / الإحالة من حيث حاجة الشَّكل اللغوي المتواصَل به إلى جملة من المراجع غير اللغوية المتوافِرة في مقام التواصل والتي تعمل على تفسير المبهَمات،

[3] Nathalie Garric et Frédéric Calas: Introduction à la pragmatique Hachette, Paris, France, 1e édition: 2007.. p 13.

[4] ذهبية حمو الحاج: لسانيات التلفظ وتداولية الخطاب. منشورات مخبر تحليل الخطاب جامعة مولود معمري، تيزي وزو، دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2005. ص 98 / 99.

وعلى هذا الأساس تنحصر أنواعُ المحيلات عموما فيما يأتي، وقد تقدَّم عرض هذه الخلاصة في القسم النظري فلا حاجة لإعادة تفاصيلها:

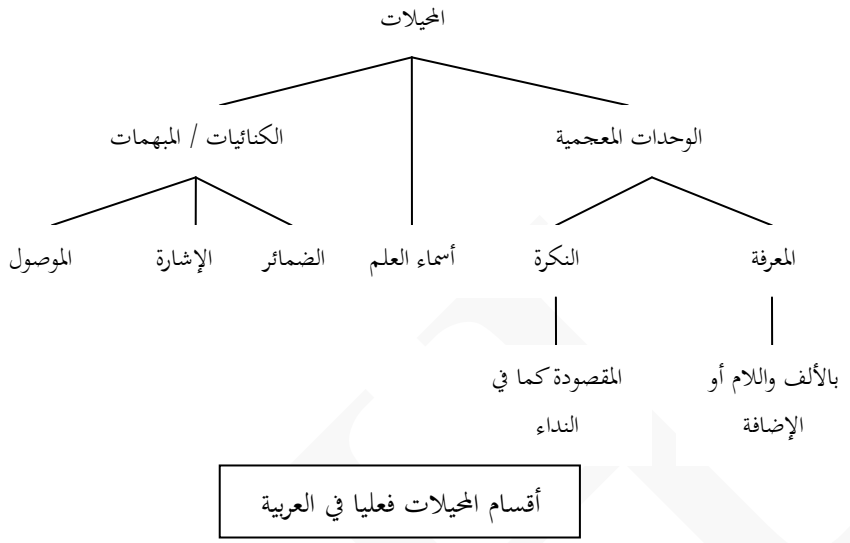

أقسام المحيلات فعليا في العربية

إنّ القاسم المشترك بين هذه الوحدات جميعا أنَّ المتكلِّم يوظِّفها ليحيل إلى مراجع معيَّنة في عالم الخطاب، بحيث لا تكفي معرفتنا بقواعد اللغة في عملية تأويلها وفهمها، بل لا بد من معرفةٍ خاصةٍ بمقام التلفظ من أجل تأويلها، ولذلك تسمَّى عامة إحالات مقامية أو حالية، وسيُعرض فيما يأتي قسمُ المبهمات مع بيان دورها في تحديد مسار التأويل، لأنها ألصق بمقام التواصل من غيرها، بينما تُترك قرائن الإحالة الأخرى (أسماء العلم والوحدات المعجميَّة) إلى مرجعيّة الموضوع أو المحتوى لأنها تحيل رأسا إلى موضوعات النصوص ومضمونها الإخباريّ.

2 . أقسام المبهَمات:

المبهماتُ هي الكلمات التي لا تحمل في ذاتها دلالة معجميَّة يحسن التواصل بها، ولهذا فهي لا تحيل إلى مراجع غير لغوية محدَّدة مثل بقية الوحدات المعجمية، وأبرز أقسامها المذكورة في كتب علوم القرآن الضَّمائر والموصولات، فهي غير دالة دلالة توصيلٍ بذاتها إلا أنْ تَرد في سياق لغوي يجعلها محيلة إلى مرجع محدَّد يؤوّلها، ولذلك فإن تفسيرها منوطٌ بمعرفة مقام الآية الكريمة إما موقفا أو ثقافة، ويؤكد السُّيوطي هذا بالقول: «أنَّ علم المبهمات مرجعُه النقلُ المحض لا مجال للرأي فيه»[5]. وأنواع المبهمات كما تقدَّم ثلاثة: الضمائر، والإشارة، والموصول، تُقسَّم حسب مراجعها بين الحضور والغياب.

[5] جلال الدين السيوطي: المزهر في علوم اللغة وأنواعها. ضبط محمد أحمد جاد المولى ومحمد أبو الفضل إبراهيم وعلي محمد البجاوي. منشورات المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، 1987، ص 2022.

يقول تمّام حسّان: «أقصد بالكنائيات ثلاثة أنواع من الألفاظ وضعها النحاةُ في عداد الأسماء ولكنَّهم أشاروا إلى أنها تدلُّ على معنًى عام حقُّه أن يؤدَّى بالحرف، وجعلوا هذه الدلالة على معنى عام شبها معنويا بينها وبين الحرف أدَّى إلى بنائها بلزوم آخرها صورةً واحدة لا تقبل الحركات الإعرابية. وهذه الأنواع هي:

1. ضَمائر الأشخاص.
2. الإشارات.
3. الموصُولات.

وكان نحاة الكوفة يسمُّون ضمير الشَّخص (أنا وأنت وهو وفروعها) بالكناية قبل أنْ يستعمل البلاغيون هذا المصطلح للدلالة على المعنى البعيد الذي يلزم عن معنى قريب أي على لازم المعنى، ويُفهم المقصود بالمعنى العام بالمقابلة بينه وبين المعنى المفرد الذي يُنسب إلى مفردات المعجم ونسميه أحيانا "المعنى المعجمي"... أما المعنى العام فهو الذي يُنسب بحسب الأصل إلى حروف المعاني وإلى الأدوات وهو الذي نردِّده عند إعرابنا للجملة من قولنا فعل وفاعل وسببية وتفسير ومطلق الجمع والترتيب والتعقيب والطلب والمطاوعة الخ مما لا يختصُّ بلفظ مفرد بعينه ومن ثم يعدُّ هذا المعنى وظيفة يمكن أن يؤدِّيها أكثرُ من لفظ واحد، من هنا يُطلق عليه أيضا "المعنى الوظيفي". ومن فروع هذا المعنى العام الحضور والغيبة وهي المعنيان اللذان تندرج تحتهما الكنائيات على النَّحو التالي:

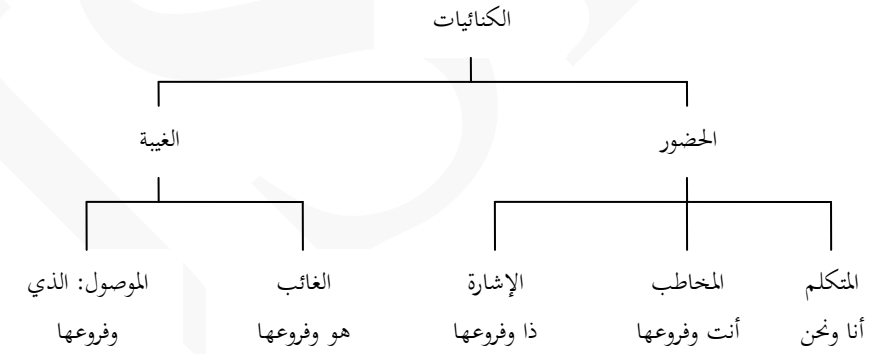

والحضور درجاتٌ ثلاث أقواها التكلُّم ويليه الخطاب وأدناها الإشارة... أما في مجال الغيبة فإنَّ ضمير الغائب أقوى من الموصول من جهات متعدِّدة أولها الاستغناء والافتقار»[6].

ومبدأ تصنيف الكنائيات بحسب الحضور والغياب مبدأٌ تداوليٌّ أساسا، يحدِّد من خلاله الدارسُ المرجعيةَ التلفظيَّة للنص وعلاقته بالعالم الخارجي. فالحضور يقتضي الإقامةَ في مقام التواصل ويتضمن ذلك لجوء المتواصلين

[6] تمام حسان: البيان في روائع القرآن. عالم الكتب، القاهرة، مصر، الطبعة الثالثة: 2009، ج 2 ص 7 / 8.

إلى معطيات الموقف لتحديده وتأويل معطيات النص من خلاله، والغيابُ يقتضي الإحالةَ على مرجع يعتمِد تحديدُه على معرفة بالعالم مشتركة بين المتواصلين تتجاوز حدودَ الموقف، وفي كلا الحالين يتعلَّق فعل تأويل النصِّ بفعل المرجعية التي تربط عناصر النصِّ بمراجعها المؤوِّلة وتجعلها دالّة، بمعنى أنها تحقِّق مدلوليتها.

تركّزَ التحليلُ السّابق حول مبهمات الحضور ممثّلةً في ضمائر التكلُّم والخطاب، وإشاريّات الزّمان والمكان. وكانت وظيفتها الرئيسة المقصود بيانُها إحالتها على مقام التوصيل بوصفه مرجعا مؤوِّلا لفضاء الأحداث مرجعية كانت، أي علامات كونية حاضرة، أو غيبية من تفاصيل قيام الساعة واليوم الآخر. وعلى هذا كانت وظيفتها تداوليةً في معظم الأحيان لأنها تكشف عن مكوّنات عملية التوصيل وتبيّن دور معرفة هذه المكوّنات في التّعامل مع الرّسالة أو النصّ وتأويله بشكل يمنحه أكبر قدر ممكن من المدلوليّة.

أما مبهَمَات الغياب ،كما تقدَّم عرضه في تصنيف تمام حسان، فهي ضمائر الغياب والموصولات، ودُعيت مبهمات غياب لأنها تحيل على مراجع غير حاضرة أساسًا في مقام التواصل. وقد ذهب إميل بنفنيست إلى حدِّ اعتبار ضمير الغائب لا شخصا، لأنه لا يؤدِّي وظيفة إحالة مقامية كما هو حال التكلُّم والخطاب: «ما نسميه عن غفلة الشَّخص الثالث [ضمير الغائب المفرد في الفرنسية] هو في الحقيقة لا شخص، قادر على الإحالة على الأشياء، والمجردات، والحيادية، وعلى لا شيء»[7]. إنَّ الدور التواصلي لضميريْ المتكلم والمخاطَب هو الإحالة إلى الشخوص الحاضرة في مقام التلفُّظ، وهي شخوص معيَّنة ومعلومة لمن حضر ذلك المقام، وهذه وظيفة لا تكون لضمير الغائب حسبه.

غير أنَّ افتقار ضمير الغياب لهذه المرجعية التلفظيّة لا يمنع كونه مبهما تواصليا محيلا، لأنه فارغ المحتوى ولا يحسن التواصل من خلاله إلا بمعرفة مرجعٍ له، إما من داخل النص كأنْ يُذكر ما يعود عليه، أو من خارج النص بأنْ يَعلم المتواصلون شخصَ هذا الغائب أو الموصول. وفي كلتا الحالين لا يكون عائده أو مرجعه طرفًا في عملية التواصل بل موضوعا لها، وفيما يلي تحليل هذه المسألة.

تُحيل ضمائرُ الغياب عادةً على موضوعات سبق ذكرُها في النصِّ، فهي تعوّضها وتؤدِّي وظيفتها الدلالية فتتحوَّل إلى موضوعات بدورها. والموضوع مفهومٌ يختلف نوعيا عن مفهوم الطرف التواصلي، لأن كلَّ ملفوظ يتضمَّن عادة جانبين حسب ما نقله جورج سارفاتي في ميدان تحليل الخطاب، فقد ذكر أنَّ الملفوظ ينقسم إلى مكونين: المقيل "dictum" وهو ما قيل في الملفوظ ومعناه ومحتواه، والكيفية "modus" وتعني طريقة القول أو موقف المتكلِّم من مضمون قوله. وهو تمييز يعود إلى شارل بالي 1932. والفكرة نفسها عند سيرل وأوستن في نظرية الأفعال الكلامية[8]. هكذا إذا أمكن نسبةُ ضمائر التكلُّم والخطاب إلى عنصر القول أو الكيفية، فإنَّ ضمائر الغياب تنتسب إلى المقيل أو الموضوع بوصفه محتوى للملفوظ. وللتمييز بين المفهومين يمكن أنْ يُطرح سؤالان: الأول عن القول أو الكيفية وهو: "من يتخاطب؟" سؤالٌ تكمن إجابته في معرفة مراجع الضميرين أنا وأنت،

[7] Michèle Perret : L'énonciation en grammaire de texte. Armand Colin, Paris, France, 2005. p 46.

[8] Georges Elia Sarfati : Elément d'analyse du discours. Armand Colin, Paris, France, 2007. p 19 / 20.

والثاني عن المقيل أو الموضوع وهو: "عمَّ يتخاطب؟"، سؤالٌ تُعرف إجابته من خلال معرفة مرجع الضمير هو الذي يتضمَّنه ملفوظ ما.

والنظرُ في نصوص المدوَّنة يكشف عن موضوعات مركزية أحالت عليها ضمائرُ الغياب، بعضُها كان مرجعه النص لا يتجاوز حدوده، وبعضها الآخر كان مرجعه العالم الخارجي بما يحويه من خبرات وتجارب أو حقائق غائبة عن حسِّ التلقي والقراءة. وقد تقدَّمت الإشارة من قبل إلى أنَّ أهم الموضوعات التي تعبِّر عنها قرائن الإبهام ثلاثة:

1 . الذّات الإلهيّة: لا تحيل المبهمَات على ذات الله تعالى بوصفها مرسِلا للخطاب القرآنيّ في مجمله فحسب، بل لأنَّه الغرض الأوّل والأخير من هذه الرّسالة: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ (الذّاريات 56)، وقد بدا حضورُ موضوع الذّات الإلهية إما ذِكرا لاسم من أسمائه تعالى أو بالإحالة إلى هذا الاسم من خلال المبهمات في النص، جاء ذكره مقترنًا بأفعاله في الدنيا والآخرة، والجامع بينهما أنّها كلُّها دالة على قدرته، وأنَّ أفعاله الحاضرة الماثلة بين أيدي المتلقي علامةٌ على عالم الغيب وما فيه من حقائق.

من ذلك قوله تعالى في سورة الأنعام: ﴿وَأَنْ أَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَاتَّقُوهُ وَهُوَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ (72) وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَيَوْمَ يَقُولُ كُنْ فَيَكُونُ قَوْلُهُ الْحَقُّ وَلَهُ الْمُلْكُ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ (73)﴾. جَمعتْ مبهمات الغياب بين الضَّمائر في (الهاء في اتقوه وإليه وقوله وله، هو، التقدير في يقول وعالم)، والموصولات في "الذي" المكرَّر مرتين في الآيتين. وقد يُكتفى بما في النصِّ من معطيات لمعرفة الذات المقصودة بهذه القرائن ولتأويل إبهامها، وهي معطيات تجسِّدها الأفعال الدالة على القدرة من مثل: الحشر، خلق السموات والأرض، إذا قال لشيء كن كان، يعلم الغيب والشَّهادة، حكيم خبير. ولكنّ فعل التّأويل لا يتوقّف عند حدود هذه المعطيات لأن المقصود بقرائن الإبهام ذاتٌ من خارج النص، ولهذا يحدث أنْ يوظّف القارئُ معرفته السّابقة بالذّات الإلهية لتأويل تلك المبهمات، معرفة إما صادرة من القرآن ذاته أو من تجارب الحياة، إذ كانت هذه الأخيرة علامات دالة على ذات الخالق، وهنا يتجلَّى فعلُ المرجعية المساعدة على التأويل بوصفها الخبرة المساعدة على فهم العلامات أو القرائن.

هكذا إذا مُثِّل النصُّ بجسم يضمّ عددا من قرائن الغياب المحيلة على الذات الإلهية، أمكن تحديد جملة من المرجعيات الداخلية والخارجية التي تسهم في تأويل تلك القرائن ما دامت مبهمات، حيث ينطلق فعل الإحالة من القرائن بفعل القراءة لتعود إلى المراجع المؤوِّلة، ثم تعود مرّة أخرى إلى ذات القرائن بفعل التأويل لتعطيها مدلوليتها التوصيلية:

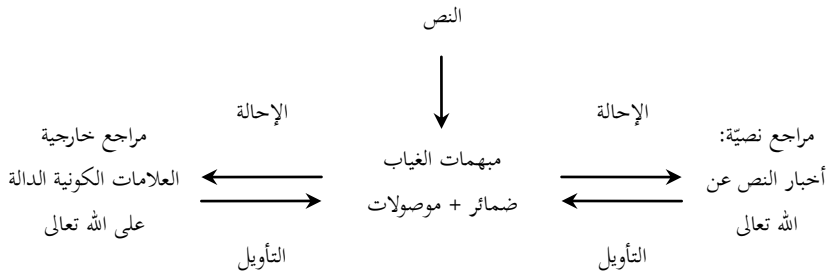

وقدْ تجمع النّصوصُ بين كون الذّات الإلهية مرسِلا للنصّ ومخاطِبا وبين كونها موضوعًا فتنتقل بالإضمار من الحضور إلى الغياب، وفي هذا قصرٌ لمفهوم الغياب على مجال التّداول فحسب؛ إذ الغياب لا يقتضي انتفاء الوجود وإنما هو مفهوم تداوليّ دالّ على المشاركين في الحوار فقط، ولهذا قد يُشار إلى ذوات حاضرة في المقام من خلال مبهمات الغياب كما يظهر من إشارة فرعون إلى موسى عليه السّلام وهو حاضر: ﴿أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ . فَلَوْلَا أُلْقِيَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِنْ ذَهَبٍ أَوْ جَاءَ مَعَهُ الْمَلَائِكَةُ مُقْتَرِنِينَ﴾ (الزخرف 53/ 54). من نماذج الانتقال بين الحضور والغياب في النصّ الواحد قوله تعالى في سورة فصّلت: ﴿وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَى بِجَانِبِهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ فَذُو دُعَاءٍ عَرِيضٍ (51) قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُمْ بِهِ مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ (52) سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ (53) أَلَا إِنَّهُمْ فِي مِرْيَةٍ مِنْ لِقَاءِ رَبِّهِمْ أَلَا إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطٌ (54)﴾ انتقل النصّ من الخطاب إلى التاريخ، ومن ضمائر الحضور والتكلُّم في الآيات الثلاثة الأولى (**أَنْعَمْنَا،نُرِيهِمْ، آيَاتِنَا**) إلى ضمائر الغياب في الآية الأخيرة "إنّه". فالغياب علامةٌ على الموضوعيّة، وقد لخّص ابن عاشور مضمونها بالقول: «وصفُ الله بالمحيط مجاز عقليٌّ لأن المحيط بكلِّ شيء هو علمه فأسندت الإحاطة إلى اسم الله لأن (المحيط) صفة من أوصافه وهو العلم»[9]، وما يهمّ من قوله هذا أنَّ محتوى الكلام أو المقيل كان على الذّات الإلهية بالإضافة إلى كون هذه الذّات مرسِلا للنص، فكانت قرينةُ الغياب قرينةَ موضوعيّةٍ.

2 . الإنسان ونماذجه:

2 . 1 . الرَّسول الكريم: وقد تحيل مبهماتُ الغياب على شخص النبيّ في مواضع قليلة، وأكثر هذه الإحالات كان لحال النبيّ مع المكذِّبين برسالته. قال تعالى في سورة الأنعام: ﴿وَقَالُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ وَلَوْ أَنْزَلْنَا مَلَكًا لَقُضِيَ الْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنْظَرُونَ (8) وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَجَعَلْنَاهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِمْ مَا يَلْبِسُونَ (9) وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ

[9] الطاهر بن عاشور: التحرير والتنوير. الدار التونسية للنشر، تونس، 1984، م 25 ص 22.

(10) قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ انْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ (11) قُلْ لِمَنْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلْ لِلَّهِ كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ (12)﴾. وتُفهم قلّة نماذج الإحالة بالغياب على شخص النبيّ لكونه في الأصل مخاطَبًا بمجمل هذه الرسالة، وحاملًا لها إلى غيره من الناس، لذلك كانت أغلبُ الإحالات إلى شخصه بوساطة قرائن الحضور.

2. 2. الإنسان: هو في مجمل رسالة القرآن مرسَلٌ إليه: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾ (الأنبياء: 107)، ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (سبأ: 28)، فمن المنطقيّ أن يرد ذِكرُه في النصّ مخاطَبا كما في سورة الانشقاق: ﴿يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ (6)﴾، ولكنّه لا يخلو من كونه موضوعا لأحداث البعث ونهاية العالم، لأنّ عليه مدارَ حدث الإحياء وعودة الروح، سواء أكان ذلك بوساطة قرائن الحضور كما يظهر من الآية السالفة في سورة الانشقاق، أو من خلال قرائن الغياب بوصفها أدلَّة على الموضوعيّة في عُرف اللسانيين، من ذلك قوله تعالى في سورة مريم: ﴿وَيَقُولُ الْإِنْسَانُ أَئِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا (66) أَوَلَا يَذْكُرُ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئًا (67)﴾، وفي سورة فُصِّلت: ﴿وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَى بِجَانِبِهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ فَذُو دُعَاءٍ عَرِيضٍ (51) قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُمْ بِهِ مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ (52) سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ (53) أَلَا إِنَّهُمْ فِي مِرْيَةٍ مِنْ لِقَاءِ رَبِّهِمْ أَلَا إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطٌ (54)﴾. والملحوظُ على هذه النصوص التي تحيل غيابيًّا على مرجع الإنسان مطلقًا ثلاثةُ أحوال:

الأوّل أنها تحيل إلى مذكورٍ في النصّ سابقٍ على الضَّمير أو لاحقٍ له، ولهذا كانت الإحالةُ في أغلب مواضعها نصيّةً تكتفي بما يُذكر في النص من معطيات. ونادرةٌ هي نماذج الإحالة الخارجية بوساطة قرائن الغياب، كقوله تعالى في سورة القيامة: ﴿ كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ (26) وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ (27) وَظَنَّ أَنَّهُ الْفِرَاقُ (28) وَالْتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ (29) إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ (30)﴾. وحتى في مثل هذه الأحوال يمكن أنْ يعيِّن المفسّرون مرجعًا نصيا للضمائر كقول ابن عاشور على هذه الآيات: «الضَّمير المستتر في "ظَنَّ" عائد إلى الإنسان في قوله: "بل يريد الإنسان" (القيامة: 5) أي الإنسان الفاجر»[10] مع أنه تفْصِل بين العنصر المحيل والمرجع المقترح هنا مسافةٌ كبيرةٌ قد تدفع القارئ إلى البحث عن مرجع من خارج النصّ.

[10] الطاهر بن عاشور: التحرير والتنوير. م 29 ص 359.

الثّاني أنها إحالة قريبة المدى فلا يبعدُ موضعُ الإبهام عن موْضع المرجعيّة المؤوّلة، وهذا المسار التأويليّ من أضمن السّبل إلى إيضاح المعنى وتحقيق المدلولية المرجوّة في نصوص القيامة. حتى في حال الإحالة البعديّة لا يكاد القارئ يلمس طول المسار التأويليّ كما يظهر في قوله تعالى في سورة الرحمان: ﴿فَإِذَا انْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ (37) فَبِأَيِّ آَلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (38) فَيَوْمَئِذٍ لَا يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌّ (39)﴾ أين تقدَّم الإضمارُ الظاهر في "ذنبه" والخفيّ في "يُسأل" على أحد المرجعين "إنس/ جان"، ومسافة الإحالة أقربُ ما تكون بين الوحدتين: "ذنبه" و"إنس" إذْ لا فاصل بينهما.

الثّالثُ أنَّ المرجع النصيّ يتمظهر في وحدات معجميّة مختلفة على شاكلة: إنسان، إنس، الناس، الأنفس، النفس، المرء، وهذا بحسب السِّياق الذي يرد فيه. على أنَّ فعل الإحالة المؤوّلة ليس محكومًا بمعطيات هذا السّياق وحده، لأنّ معرفة أسباب النزول قد تضيّق دائرة المرجع فيتحوّل من حالة الإطلاق إلى حالة التقييد، وقد تقدّمت الإشارة إلى هذا في مبحث أسباب النُّزول.

2. 3. أصنافُ الخلْق: وقد تحيل مبهَمَات الغياب، ضمائرَ أو موصولاتٍ، على جماعة مخصوصة بحسب معطيات النصّ أو مقام النّزول، وإيرادُ ذكرهم في باب قيام الساعة كان لبيان موقفهم منها حالَ تلقِّيهم رسالة القرآن الكريم وأخباره عنها، أو لوصفِ حالهم وقتَ قيامها. كما ورد في سورة الأعراف حكايةً لموقف المشركين: ﴿أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ (185) مَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُ وَيَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ (186) يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (187)﴾. تضمَّن النص ضمائر من مثل: الواو في "ينظروا، يؤمنون، يعمهون، يسألونك"، الهاء في "أجلهم، يذرهم"، كما تضمَّن موصولاتٍ من قبيل "مَن" في الآية الثّانية من النصِّ تعود كلّها، بحسب المفهوم من عموم النص، على مرجع واحد غير مذكور ذكرا صريحا، وقد أوّلها ابن عاشور بالنظر إلى معطيات النصِّ فقال: «وصفُ الرسول صلى الله عليه وسلم بأنه صاحبُ الذين كذبوا بالآيات هو بمعنى الذي اشتغلوا بشأنه ولزموا الخوضَ في أمره»[11]. وهذا مما يقوّي جانب الإحالة الخارجيّة فيها لأنَّ المقصود بها جماعةٌ مخصوصة من النّاس، كما في قوله تعالى في سورة الرعد: ﴿وَإِنْ تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَئِذَا كُنَّا تُرَابًا أَئِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (5)﴾.

[11] الطاهر بن عاشور: التحرير والتنوير. م 9 ص 194.

ومن ذلك ما ورد في سورة الأعراف: ﴿أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ (185) مَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُ وَيَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ (186) يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (187)﴾. عند العودة إلى بداية هذا الإضمار بالغياب لا يظهر أنَّ النص يحدِّد مرجعًا صريحا له كما يظهر من قوله تعالى قبل هذه الآيات: ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِهِمْ مِنْ جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ (184)﴾، وغياب المرجع في النص يجعل من المبهمات محيلاتٍ خارجيةً، وتكون المرجعية المؤوّلة هنا متعلقة بمعرفة العالم لدى القارئ الذي يمكنه أنْ يحدِّد من عالم الكائنات مرجعا مقصودا لضمائر الغائب، ودليله في ذلك قرائنُ السياق اللغوي. قال ابن عاشور: «لما كان تكذيبهم بالآيات منبعثاً عن تكذيبهم من جاء بها، وناشئاً عن ظن أن آيات الله لا يجيء بها البشر، وأن مَن يدَّعي أنه مُرسَل من الله مجنون، عقَّب الإخبار عن المكذبين ووعيدهم بدعوتهم للنظر في حال الرسول، وأنه ليس بمجنون كما يزعمون»[12]. وفي عبارة "من يضلل الله فلا هادي له" إحالة إلى غير معيّن من كلِّ الضالين، حقيقة مطلقة تشمل كلَّ ضالّ عن هداية الله.

ومن ذلك أيضا قوله تعالى في سورة الرُّوم روايةً لحالهم وقت قيام السَّاعة: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُبْلِسُ الْمُجْرِمُونَ (12) وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ مِنْ شُرَكَائِهِمْ شُفَعَاءُ وَكَانُوا بِشُرَكَائِهِمْ كَافِرِينَ (13) وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ (14)﴾. قال الطبريُّ: «يقول تعالى ذكره: ويوم تجيء السَّاعة التي فيها يفصِل الله بين خلقه، وينشر فيها الموتى من قبورهم، فيحشرهم إلى موقف الحساب "يُبْلِسُ الْمُجْرِمُونَ" يقول: ييأس الذين أشركوا بالله، واكتسبوا في الدنيا مساوئَ الأعمال من كلّ شرّ، ويكتئبون ويتندَّمون»[13]، استقلَّت ضمائرُ الغياب هنا بالإحالة إلى مذكور في النص "المجرمون". فلا يقتصر ورودُ ضمائر الغياب على ذات الله تعالى بوصفه مرسِلا للنص وفاعلا أعلى للحدث المركزي، وهو قيام الساعة، فقد توزَّعت مراجع إضمار الغياب عموما بين خصوص جماعة المكذِّبين بالبعث والنشور، وعموم الخلْق. فأغلب الإحالة بضمير الغائب لجماعة المكذِّبين بالبعث والقيامة حكايةً عن موقفهم في خطاب الله تعالى لرسوله.

3 . الكائنات والأشياء بوصفها علامات وموضوعات:

وهي من الموضوعات الأساسيّة التي اطّرد ذكرُها في باب نهاية العالم خاصّةً، وُصِف ما يصيبها من تغيُّر وتبدّل. وقد تقدّمت الإشارةُ إلى ذوات تكرَّر ورودُها على هذه الشاكلة، ولكن التحليل هنا يهدف إلى بيان مرجعيَّتها في تفسير حالات الإضمار في نصوص قيام الساعة، ومن ميزاتها اعتمادُها على الإحالة الدّاخليّة، من

[12] المرجع نفسه م 9 ص 193.

[13] محمد بن جرير أبو جعفر الطبري: جامع البيان في تأويل القرآن. تحقيق أحمد محمد شاكر. مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى: 1420 هـ/ 2000 م، ج 20 ص 79 / 80.

ذلك قوله تعالى في سورة الأعراف: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (187)﴾، إذْ تضمّن النصُّ عددا من الضّمائر العائدة على مرجع واحد "السّاعة" وهو مذكور في النصّ، حيث يمكن تمثيل مسار المرجعيّة كما يلي:

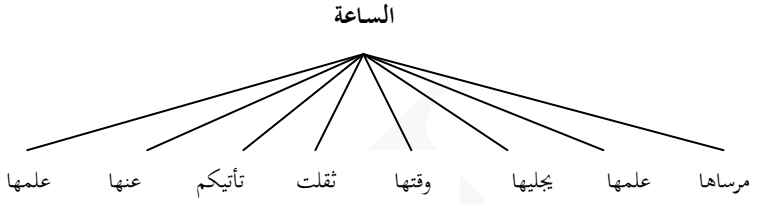

وأكثر متعلّقات السّاعة في هذه الحال لا يكشفُ أحوالها، بما في ذلك كلمة "ثقلت" التي قال الطّبري في معناها: «ثقل علمها على أهل السّموات وأهل الأرض، إنّهم لا يعلْمون»[14]، فكلُّ هذه المتعلّقات بفعل الإحالة يبيّن احتجابَ السّاعة وتغييب وقتها أمام أعين النّاس.

كما قد تكون الإحالة بالغياب إلى مراجع الأشياء في الطبيعة والتي عليها مدار تبدُّل العالم وقتَ قيام السّاعة، فإما أن ينقل النصُّ أحوالها في الحياة الدّنيا بوصفها علامات كونيّة ذات دلالة، وإما أن تكون موضوعا لأخبار غيبيّة. كالذي ورد في سورة يونس: ﴿إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَنْ لَمْ تَغْنَ بِالْأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (24)﴾. كانت الأرض محورًا لعدد من الإحالات الدّاخلية في كلمات: زخْرفها، ازّينتْ، أهلها، عليْها، أتاها، جعلْناها، تُغْن.

كما اطّرد ذكرُ السّماء أيضا بوصفها محطَّة لتحوُّلات قيام الساعة، وتمّت الإحالة إليها داخليّا كما في قوله تعالى في سورة الحاقة: ﴿وَانْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ (16) وَالْمَلَكُ عَلَى أَرْجَائِهَا وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ (17)﴾ من خلال الإضمار في "هي، أرجائها".

وكانت الظّواهر الطبيعيّة في عمومها مراجعَ للإبهام بوصفها موْضوعاتٍ، وتوظيفُ الإضمار للغائب مقترنٌ دائما بذكر معطيات ما عن المرجع غير اللّغوي الذي تعود عليه تلك الضّمائر. ويكثُر هذا الذكر على وجه الخصوص في النصوص الفرعيّة الغيبية التي تصف نهاية العالم، لأن هذه النهاية تتضمَّن تغيُّر تلك الظواهر الطبيعيّة المألوفة لدى الإنسان وتحوّلها في إطار عالم مختلف. من ذلك قوله تعالى في سورة طه: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا (105) فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا (106) لَا تَرَى فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا

[14] الطبري: جامع البيان في تأويل القرآن. ج 13 ص 295.

(107)﴾، فدلّت الضّمائر في كلمات: "ينسفها، يذرها، فيها" على مرجع واحد هو الجبال، وقد تعلقت كلُّها بأفعال منسوبة إلى الله تعالى دلَّت على قدرته وسلطانه، كما دل اطراد الإضمار هنا في باب الموضوعية على خضوع تلك الكائنات من الخلق لإرادة الله.

هذه على الجملة موضوعاتُ مرجعيّةِ المبهماتِ في الحضور والغياب. فضمائر المتكلّم لا يتوقف عند كونها قرينة على المرسِل/ المخاطِب بل مسبّبا أعلى للحدث المركزي "قيام الساعة". وضمائر الخطاب لا تتوقَّف عند كونها قرينة على المرسَل إليه/ المخاطَب أي طرفا في عملية التوصيل، بل موضوعا للرسالة وموضوعا للحدث. والفرق بين ضمائر التكلم والخطاب وبين ضمائر الغياب في التحليل الملفوظي أن الأولى تأتي لبيان أطراف عملية التواصل، حتى وإن كانت تتحوَّل أحيانا إلى موضوع للحديث كما سبق القولُ على ضمائر الخطاب، أما الثانية فتأتي بوصفها موضوعًا فقط.

فمعرفةُ مرجع الضَّمير إذن أساسُ تأويل المبهم، وبالتالي يكون من أسس بناء مدلولية الشَّكل اللغوي كله. ولا تتوقّف الفاعليّة المرجعيّة عند حدّ الإحالة إلى مقام التلفّظ، وإنما تجمع بين سياق التّواصل وموضوع الحدث على سبيل التَّداخل الذي يجعل من مرجعية التوصيل آلية لإدماج أطراف عملية التواصل في الرسالة وأداة حاضرة في بناء المدلولية. يخرج استعمالُ المبهمات في نصوص قيام الساعة عن معهود التَّحليلات الملفوظية التي تقصر الحضور الموضوعي للضمائر على الغياب فقط، كما هو الحال عند إميل بنفنيست، بينما تجعل من ضمائر الخطاب والتكلُّم عناصرَ مقاميةً. ويمكن تمثيلُ التداخل في ورود مبهمات الحضور والغياب في الاعتبارات الموضوعية والتداولية كما يلي:

يسمح هذا الانتقالُ بتأكيد حضور مرجعيّة التّوصيل كفاعلٍ أساسٍ في مدلوليّة الرسالة أو النصّ؛ فهي لا تكتفي بالإحالة إلى أطراف العمليّة التوصيليّة بل تتعدّى ذلك إلى اعتبار هذه العناصر مراجع مؤوّلة للإزالة الإبهام ومعرفة الذوات التي تخبر عنها الرسالة.

قائمة المصادر والمراجع:

. المدونة من القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم.

. تمام حسان: البيان في روائع القرآن. عالم الكتب، القاهرة، مصر، الطبعة الثالثة: 2009.

. جان سيرفوني: الملفوظية. ترجمة قاسم مقداد. منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، سوريا، 1998.

. جلال الدين السيوطي: المزهر في علوم اللغة وأنواعها. ضبط محمد أحمد جاد المولى ومحمد أبو الفضل إبراهيم وعلي محمد البجاوي. منشورات المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، 1987.

. ذهبية حمو الحاج: لسانيات التلفظ وتداولية الخطاب. منشورات مخبر تحليل الخطاب جامعة مولود معمري، تيزي وزو، دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2005. ص 98 / 99.

. الطاهر بن عاشور: التحرير والتنوير. الدار التونسية للنشر، تونس، 1984.

. محمد بن جرير أبو جعفر الطبري: جامع البيان في تأويل القرآن. تحقيق أحمد محمد شاكر. مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى: 1420 هـ/ 2000 م.

Nathalie Garric et Frédéric Calas: Introduction à la pragmatique Hachette, Paris, France, 1e édition: 2007.

Michèle Perret : L'énonciation en grammaire de texte. Armand Colin, Paris, France, 2005.

Georges Elia Sarfati : Elément d'analyse du discours. Armand Colin, Paris, France, 2007.